www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com

# مراسلات

ملحق خاص يصدر عن صحيفة سوريتنا
بالتعاون مـع "رابـطة المـرأة المتعـلمة"
أيلول 2018

# مراسلات

**ملحق خاص**
**يصدر عن صحيفة سوريتنا**
**بالتعاون مع «رابطة المرأة المتعلمة»**

يهدف لتسليط الضوء إعلامياً
على قضايا النساء النازحات والمهجرات
من مختلف المناطق السورية
إلى محافظة إدلب،
من خلال قصص إبداعية تكتبها
صحفيات سوريات، محترفات وناشئات،
فضلاً عن قصص مصورة ورسوم كرتون.

**الصحفيات المحررات**
عفاف جقمور
نور الخطيب
نيرمين خليفة

**الصحفيات المشاركات**
أسماء العبد
آية رضوان
بيان بيطار
تيماء دقماق
سلام زيدان
صفاء رمضان
عفاف جقمور
علياء أحمد
غيثاء الإبراهيم
نيرمين خليفة

**الرسوم والكرتون**
أماني العلي

**رسم الغلاف:**
أحمد رحمة

طبع من هذا الملحق 2000 نسخة
وزعته في سوريا
«الشبكة السورية للإعلام المطبوع SNP»

بدعم من منظمة
«صحافة حرة بلا حدود FREE PRESS UNLIMITED»



**إنتاج مؤسسة سـوريتنا ©**
WWW.SOURIATNAPRESS.NET



**أيلول 2018**

Ahmad Rahmeh

# لماذا هذا الملحق؟

**نور الخطيب - محررة في صحيفة سوريتنا**

شرقاً أم جنوباً نحو الشمال أو العكس، لا فرق، فالأرض واحدة، وفي النزوح من سوريا إلى سوريا، تختبئ للسوريات حكايا في تلك الرحلات. رحلات متشابهة ومكررة، يعيشها السوريون منذ أكثر من سبع سنوات، متشابهة في الفقد والفاجعة والتهجير المفاجئ، ترك الوطن الأصلي والدخول نحو آخر، بعزيمة عالية وقدرة سريعة على التأقلم يطلبها منهم المجتمع، للسير بركابه والقدرة على تجاوز مخلفات الحرب ومواصلة الحياة الجديدة في المكان الجديد.
فحيثما تعلو وتيرة المعارك في قرية أو مدينة ما، يتركها سكانها فارين نحو أرض أخرى، حاملين معهم مخزون حياة بأسرها من ذكريات وتراث وعادات وتقاليد وأساليب عيش.
تعيش النساء السوريات هذه الفترات بهمة عالية وشجاعة لا نظير لها، فتنقلن بما حملته ذاكراتهن من بيئة نحو أخرى، ورغم مرارة الفقد وآلام التهجير وتبدّل حياتهن بالكامل، خسرن الأولاد ربما، وربما الزوج، أو الأهل أو المنزل أو طريق العلم، إلا أن الكثيرات استطعن إثبات وجودهن، فتجاوزن ويلات الحرب بإصرارهن، وصمودهن في وجه حياة جديدة لم يقفن فيها على الحياد، بل حاولن النجاة بمهارات بسيطة ومهن جديدة، ومبتكرة أحياناً لم يعرفنها من قبل، سعياً منهن للتأقلم والاندماج مع المجتمع الجديد، لتصبح تلك المهارات والمهن بمثابة باب للاستقلال الاقتصادي والفكري والاجتماعي، ورغبةً بالتميز وإيجاد فرص المشاركة في بناء مجتمع جديد، يأخذن الدور الفعّال فيه.
في الآونة الأخيرة شكلت محافظة إدلب الموطن الحاضن لغالبية من هجروا قسرياً من مختلف أنحاء سوريا نحو الشمال، فتمازجت فيها الثقافات وتداخلت التقاليد والعادات وحتى اللهجات، فصار المشهد يشبه سوريا صغرى في قلب إدلب، تضم نماذجاً مختلفة من كافة أطياف الشعب السوري.

بين أولئك برزت ناشطات وصحفيات، بحثن عن مساحة حرة ليدونّ حكاياتهن أو حكايات غيرهن من النازحات، فكان مشروع «مراسلات»، بهدف تمكين النساء اللواتي يرغبن في دخول مجال العمل الإعلامي، ليخرج المشروع بعد إتمام خطواته بمراسلات مهنيات، قادرات إثبات أنفسهن في مواكبة العمل الصحفي المحترف.
سعت «صحيفة سوريتنا» بالتعاون مع «رابطة المرأة المتعلمة» لتوفير هذه المساحة من خلال مشروع «مراسلات»، الذي عمل فريقه خلال شهر ونصف مع عشر صحفيات، محترفات ومتدربات، سبق لهن العمل في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية السورية والعربية.
وتمكينهن من اكتساب مهارات كتابة القصة الصحفية بدايةً، عن طريق تفريغ حكاياهن في نص صحفي، كلٌ بقلمها وأسلوبها البكر، ليقوم فريق التحرير في الصحيفة بتحرير القَصص وإعدادها وفق قالب القصة الخبرية الإبداعية، مع توثيق كافة المصادر والمعلومات وفق العرف المهني، وصياغة النصوص وفق السياسة التحريرية لصحيفة سوريتنا.
يستهدف المشروع النساء السوريات الراغبات بممارسة العمل الصحفي، سواء النازحات منهن أو المقيمات في الشمال السوري أو في دول اللجوء، والسعي لأخذ دورهن في المجتمع ومنحهن القدرة على تحمل المسؤوليات، والنشاط والفاعلية في المجال الإعلامي، وتعزيز مواقعهن في المؤسسات الإعلامية المختلفة، لتكون الخطوة التالية ورشات كتابة صحفية معمقة في القريب القادم.
موّل طباعة وإنتاج هذا الملحق، منظمة «صحافة حرة بلا حدود»، وهي منظمة هولندية مقرها أمستردام، ضمن مشروعها «التعاون بين المؤسسات الإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني»، الذي أطلقته منتصف تموز المنصرم.

# تجارة «القماش المنخوب» مهنة أم صبحي الجديدة

أسماء العبد

صور لأقمشة مرتبة على حبال داخل منزل أم صبحي | عدسة أسماء العبد

- «من الطارق؟» تسأل أم صبحي بعد أن تهرول نحو باب بيتها.
- «أم عمر الخيَّاطة».

ترحب أم صبحي بجارتها بحرارة، ويتجهان معاً نحو غرفة الأقمشة، لتتبضع وتشتري حاجتها من أنواع الأقمشة المختلفة.

ببساطة، تبيع أم صبحي القماش الذي تستغني عنه المعامل الكبيرة ويدعى «تصافي المعامل»، أو «المنخوب» باصطلاحها، ويعني القماش غير الصالح للاستعمال على مكنات المعامل الكبيرة أو ورش الخياطة.

ليس على أم صبحي سوى أن تلتقط صوراً للأقمشة التي أحضرها زوجها حديثاً، وتضعها على حالتها على هاتفها الخلوي في «الواتس أب»، متخذة من هذه الطريقة وسيلة إعلامية في الترويج لبضاعتها، وإعلاماً لزبائنها بأن البضاعة قد وصلت!

أم صبحي التي ترك الزمن بصمته الأليمة فيها، وحفر في تفاصيل خديها حكاياته، ونسج في عينيها شعاعاً من الأمل لا ينفكُّ عنها جعلت من بيع القماش «المنخوب» مهنة لها.

بات منزل أم صبحي وجهة كثير من الخياطات في المنطقة، ينتفعن بتلك الأقمشة ويُجدن استخدامها، إذ لا يحتجن لأكثر من بضعة أمتار.

يتربع منزلها ذي الغرفتين وسط حي شعبي، وتقيم فيه مع أولادها، وقد اتخذت واحدة للمعيشة والأخرى لبيع الأقمشة. هذا المكان المتواضع لم يمنع النسوة من الأحياء البعيدة من الحضور إليها وشراء القماش الذي لاقى استحساناً كبيراً من قبلهن، فضلاً عن الفروق الكبيرة بين أسعارها وسعر السوق، والبيع هنا بالوزن، والوزن فقط.

تقف الخياطة أم عبدو فوق كومة من الأقمشة المرمية في أرضية الغرفة، باحثةً عن قماش صالح للخياطة، وترتاد منزل أم صبحيً منذ أكثر من سنة، تقول «لم تكن مهنة بيع الأقمشة المستعملة أو القصاصات معروفة من قبل، ولاسيما أن زوجها يوفر أقمشة مختلفة ومتنوعة وبأسعار زهيدة، وهذا الأمر جعلني، مع خياطات أخريات في المدينة، نوفر هامشاً لا بأس به من الربح».

أقامت أم صبحي في إدلب سنتين تقريباً بعد رحلة نزوح من مدينتها حلب، تقول «لم يكن باستطاعتنا أن نحتمل هذا الكم الهائل من القذائف والبراميل التي كانت تتساقط كل يوم على الأحياء التي خرجت عن سيطرة النظام في المدينة، ففي حي باب النيرب، حيث أقيم، حصلت مجازر عدة أجبرتنا على الرحيل، وترك كل ما نملك خلفنا».

غربة المكان مرة أخرى تلقي بظلالها عليها، وتخلّف كومة من الآثار النفسية والمادية عليها وعلى أسرتها، ضيق في العيش، وصعوبة في تأمين عمل يناسب زوجها وخبرته، جعلهم يغادرون تركيا التي أقاموا فيها قادمين من إدلب، تقول: «لا يتقن زوجي العمل بالبناء الذي توفر له في تركيا، فقد اعتاد على بيع الأقمشة والألبسة في أسواق حلب الشعبية».

افتتح إخوته ورشات للخياطة في تركيا، لكنه آثر العمل مستقلاً، فغادرت العائلة تركيا وعادت إلى إدلب، حيث ساهمت علاقاته بتجار الأقمشة المستعملة في حلب بتسهيل العمل.

اتخذت أم صبحي من منزلها متجراً تبيع فيه الأقمشة، «عليَّ أن أقف إلى جانب زوجي لكسب رزقنا معاً، لم يكن هذا العمل صعباً عليّ، ولا سيما أنه لا يتطلب مني الخروج من المنزل وترك أولادي، وبذلك أعمل أنا داخل المنزل وزوجي خارجه»، هكذا وقفت إلى جانب زوجها كالبنيان المرصوص، وبهذه اللغة البسيطة تحدثت.

لمسات أنثوية تنسدل على عملها، وبصمات جميلة تتركها أم صبحي جعلت قماشها أنيق المظهر، يمتِّع النَّاظر إليه، ويجعله يقبِل نحوه بكل شغفٍ وسرور.

وفي التفاصيل، تضع الأقمشة القطنية وتفردها على الأرضية، أما أقمشة «الدانتيل» و«الشيفون» فتضعها على حبال نصبتها على طول الغرفة، لتحافظ عليها من التمزق أثناء سحبها من قبل الزبائن، وتتنوع الأقمشة المعروضة لديها ما بين «القطنية» و«الدانتيل» و«الشيفون»، وأقمشة «النايلون» و«الليكرا» و«الساتان».

تكمل أم صبحي أعمالها المنزلية ريثما ينتهي زبائنها من اختيار ما يحتاجونه ثم تعود وتودعهم كما عهدوها بابتسامة حبٍّ لا تفارقها، ورضا عمَّا هي عليه.

# ريّانة.. من طفلة على مقاعد الدراسة إلى «امرأة مطلقة»

صفاء رمضان

نصف عام فقط والحياة تنقلب رأساً على عقب، من طفلة مولعة بألعابها وأشيائها الصغيرة، إلى امرأة مطلقة تداري نظرة مجتمعها المحيط لها.

12 ربيعاً أمضتها ريانة ذات الضفائر الشقراء في موطن ولادتها حيث كانت مملكة زنوبيا مع زوجها أذينة، ثم نزوحٌ مع عائلتها من تدمر في ريف حمص الشرقي إلى مدينة إدلب، فالبيت الذي يأويها لم يبقِ فيه النظام حجراً على حجر. بعض الأمتعة، ولباس يكسوهم، وشيءٌ يُسكت الجوع ويمنع عنهم العطش، فالأبُ المسنُّ لا يقوى على الحمل، فيما الأم كانت تنشغل بالعناية بريانة وشقيقها الأصغر خلال رحلة النزوح.

وصلت العائلة إلى إدلب، حيث مراكز الإيواء، ثم وجدت منزلاً متواضعاً يتناسب وقدرتهم المادية.

رُزقت الأم بريّانة وأخيها في عمر متأخر، وكان غاية حلمها أن يتابعا تعليمهما، لذلك سارعت بإلحاقهما بمدرسة ابتدائية فور وصولهم إلى إدلب.

لم تهنأ العائلة طويلاً بالاستقرار، فبعد فترة وجيزة خطف الموت الأب إثر حادث مروري، وأسند مسؤولية الطفلين للأم المسكينة، ولاسيما أن خروجهم من مركز الإيواء تسبَّب بحرمانهم من المساعدات الإغاثية التي يحصلون عليها، إضافة إلى عدم قدرتها على تأمين إيجار المنزل.

لم يدم الأمر طويلاً، فقد تقدم شاب في الـ 16 من عمره لخطبة ريانة، وافقت الأم على ذلك أملاً بأن يكون في هذا الزواج ما يشدُّ أزر هذه العائلة ويكون لها سنداً في محنتهم، وعوناً على تجاوز مصاعب الحياة.

تقول أم ريانة: «ظننت أن زواج ابنتي سيخفف من مسؤوليتي تجاهها، أجبرتها على ترك تعليمها والبدء بحياة زوجية لا تعي من مسؤولياتها شيئاً».

لم يكن الزواج بالنسبة لريانة إلّا بعداً عن ألعابها وحضن والدتها، الذي عادت له بعد أن أنهكها الضرب المبرح الذي كان يمارسه زوجها بحقها.

انتهى هذا الزواج بطلاق بعد نصف عام حوَّلها من طفلة أو تلميذة تجلس علىَ مقاعد الصفوف الابتدائية إلى امرأة مطلقة حبيسة منزلها، جعلها تعيش في اكتئاب حاد.



فتاة سورية في مخيم الزعتري للاجئين في الأردن ترفع لافتة ضد زواج القاصرات | SAVE THE CHILDREN

الآن على أم ريانة أن تبدأ رحلة معاناة جديدة في التخلص من الحالة النفسية التي باتت تعاني منها ابنته، والوجهة هي مراكز الدعم النفسي للقاصرات اللواتي تعرَّضن للعنف، علّه يكون طوق نجاة لطفلتها من حالتها النفسية المتدهورة.

مديرة مركز التدريب المهني «tevt» عبير المحمود تقول: «تتردد على المركز نحو 70 فتاة دون سن الثلاثين، يتدرَّبن على الأعمال اليدوية، كالتطريز والخياطة وحياكة الصوف، إضافة إلى مهارات الحاسوب وإدارة المشاريع الفردية»، وتضيف: «بعد كثير من الصبر استطاعت ريانة أن تتعافى ولو جزئياً، عادت إلى مقاعد الدراسة، وباتت تنشغل بتعلم الحاسوب والتطريز».

تضع ريّانة حقيبتها المدرسية جانباً ثم تبدأ بتركيب ماكينة الخياطة التي تعمل عليها، لتكتسب مهنة جديدة تكون لها عوناً ومعيناً.

تملأ فراغها بالعمل عوضاً عن التفكير في الماضي، وفي داخلها ثقة أنها ستحقق ما كانت تأمله يوماً ما وتتابع تعليمها، ويعود الدفء ليملأ قلبها.

# اطلبوا العلم ولو في الحصار

عفاف جقمور

«يرتبط سقوط البراميل بصورتين رسختا في مخيلتي، الأولى حين يسقط فيقطع محاضراتي في الجامعة الافتراضية لأركض وألوذ بمكان آمن، والثانية حين يسقط فوقنا في غرفة العمليات، فنلتقط الردم ونواصل العمل». عبارات تصف فيها كندة مطر ذات الثلاثين ربيعاً، سنوات الحصار الخمس التي عاشتها في الغوطة الشرقية، وحققت خلالها جزءاً من أحلامها، بالتزامن مع عملها في مشفى ميداني للتوليد في مدينتها داريا.

لظروف خاصة تركت كندة جامعتها سنة 2006، ثم حاولت مراراً استئناف تعليمها، لكن جميع محاولاتها باءت بالفشل، وأيقنت أن التعليم الجامعي يستخدم في سوريا فقط لترسيخ القمع والاستبداد.

بعد خمس سنوات من الحصار، كانت داريا تعيش أسوأ أيامها، وقوات النظام تمهّد لاقتحام المدينة، والاتصالات مع العالم الخارجي محدودة جداً، عثرت كندة على منحة مجانية للدراسة في إحدى الجامعات الافتراضية. في ذلك الوقت بدا التفكير بأمر كهذا ضرباً من الجنون، فلم تتشجع كندة للتقدُّم للمنحة، لكنّ أهلها وأصدقاءها أقنعوها بالتقدم، من مبدأ «اطلبوا العلم ولو في الحصار».

أرسلت طلباً للجامعة مع الوثائق المطلوبة، لتفاجأ بأن طلبها حظي بالقبول. تقول: «لم تسعني الفرحة حينها، لم أصدِّق أنني سأحقق أخيراً حلمي وأتابع تعليمي».

استطاعت التوفيق بين دراستها وعملها في مشفى التوليد الميداني الوحيد في المدينة، وكانت تواجه صعوبة بالغة في التركيز، إذ تدرس وحدها أثناء الغارات الجوية، تقول «كنت أضطر للمكوث في القبو لأتابع محاضراتي التفاعلية».

ثم إن «الإنترنت الضعيف المتقطع كان عائقاً كبيراً، اعتدت التقاط صور للمواد العلميّة كي أدرسها لاحقاً».

## عملٌ إنسانيّ يفوق الشّهادة

تعتبر كندة أن عملها الشاق في مشفى التوليد الميداني كان الأصعب، ولا سيما حين كانت تواجه حالات الولادات القيصرية، والتي أثرت كثيراً في نفسها، حيث كانت تسعى، على الدوام، إلى التخفيف عنهن وتعويضهن بعض ما فقدنه خلال الحصار.

كانت المشفى تحت الأرض، السواتر الترابية تمنع عنها الهواء والضوء، رائحة هوائها مزيج من الرطوبة والمواد الطبية والمعقمة والمحروقات الناتجة عن توليد الكهرباء، العتمة طاغية إلا من أضواء الشواحن الصغيرة، والمولدات الكهربائية تعمل أثناء العمليّات فقط، «كنّا نضع المواليد الحديثة في الحاضنات ذات التوليد اليدويّ دون كهرباء»، عبارات تخرج من فيها بحرقة يسبقها تنهُّد عميق.

## مجتمعٌ جديد وتحدّياتٌ جديدة

هجِّر أهالي داريا نهاية آب من العام 2016، أثناء ذلك شعرت كندة أن جامعتها وأحلام مستقبلها ترفٌ ليس في وقته، تقول «أصبحنا كالناجين من سفينة تغرق، نتخبّط بما حولنا، نبحث عن أهلنا وأصدقائنا بعد أن استقرّ كلّ منّا في مكان».

بعد شهور قليلة، تواصلت معها إدارة الجامعة وطلبت منها متابعة دروسها لنيل الشهادة، لكنها كانت قد فقدت حماسها، وأصبحت تقضي معظم وقتها بعيداً عن ضجيج الأسئلة التي كان تتردَّد حولها.

تقول «كنت أكتب كثيراً كي أشغل نفسي، وحين يدخل عنديّ أي أحد أتظاهر بالدراسة كي لا أفتح مجالاً للحديث»، وتضيف «في الفصل الأخير أصبت بالاكتئاب، كنت أود معرفة أصدقاء جدد في الجامعة نفسها».

كانت تشعر أن الحياة الافتراضية تزيد من عزلتها، فتوصلت عن طريق معارفها إلى مجموعة فتيات يدرسن في الجامعة نفسها، تعرفت عليهن ورحبن بها، وسريعاً أصبحن صديقات مقربات، تقول صديقتها جنى «كنّا نتعجب من إصرارها رغم الظروف التي مرَّت بها، وكنّا نشعر بالخجل إذ إنّنا نبذل جهداً أقل منها رغم الوضع المستقر نسبياً».

استطاعت كندة، بمساعدة صديقاتها الجدد، أن تتجاوز تلك المرحلة الكئيبة، فتقدمت للامتحان النهائي، وتخرجت بمرتبة امتياز وحصلت على شهادة في العلوم السياسية، وهي، اليوم، تسعى إلى دراسة اللغة الإنكليزية وتحقيق حلمها في العمل في المجال الدبلوماسي.

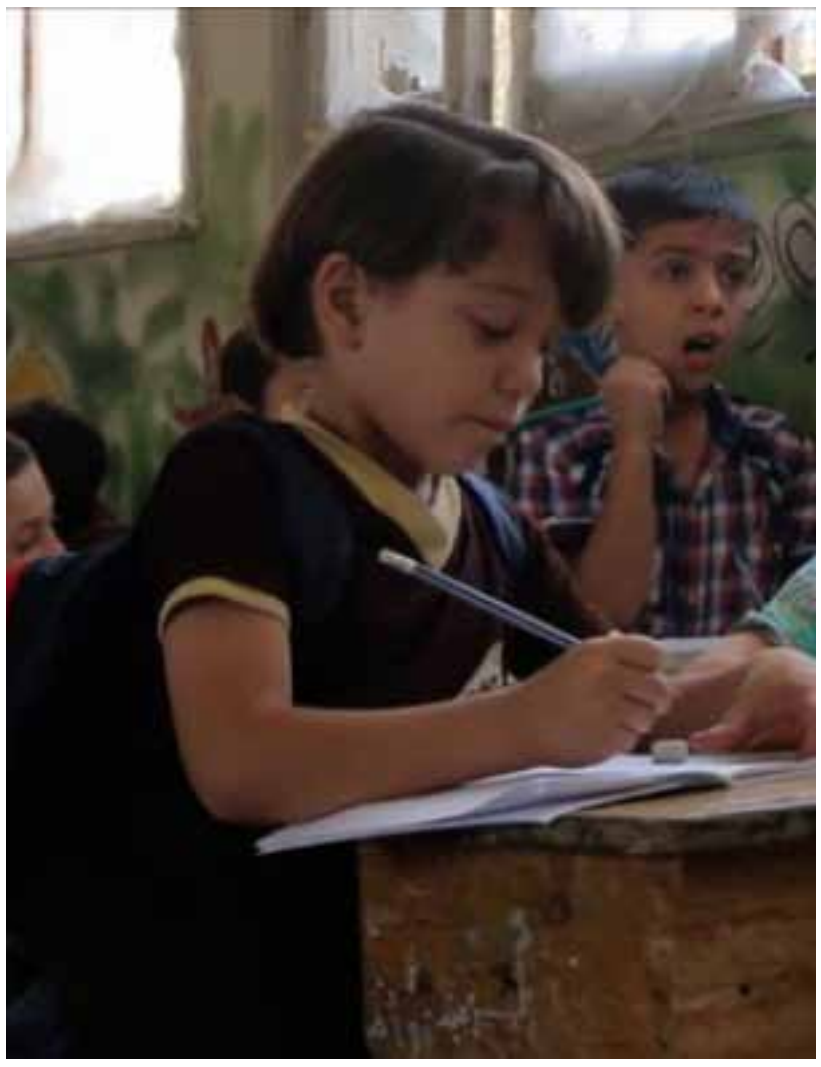

صورة تعبيرية | تلاميذ في إحدى مدارس الغوطة الشرقية أثناء حصارها | الأناضول

# أرجوك يا خيط الشمس المس جسد أبي

بيان بيطار

لا تزال منال المنجد، ذات التسعة عشر ربيعاً تذكر نزهتها مع والدها في ساحة سعد اللّه الجابري، في مدينة حلب، حيث مشيا كثيراً وتحدثا وشربا السحلب معاً، إلا أن شعوراً خفياً بأن هذه النزهة هي الأخيرة لازمها ذلك اليوم. تقول منال: «كانت نظراته تمتلئ قلقاً ورعباً، ويطلب مني ألا أقلق عليه».

كانت العائلة حينها تقيم في القسم الذي تسيطر عليه قوات النظام من المدينة، لم يدرك والدها أن أسرته ستتعرض لكارثة عند خروجها من شرق حلب إلى غربها، وبينهما حاجز لا ينجو منه إلّا ذوي الحظوظ العظيمة.

طابور طويل يتوجب على الخارجين من قسم لآخر أن يقفوا فيه، وعليه زحام شديد؛ فهو القسم الأخير الفاصل بين النظام المعارضة. هذا الحاجز يعتبر عبئاً دائماً لدى السكّان المتنقلين، حيث تجد الواقفين عليه للعبور في حالة نفسية متوترة وضيق شديد، لأن وقوعهم بقبضة النظام أمرٌ وارد بسبب أو بدونه، وكثير منهم اعتقل نتيجة تقارير كيدية أو تشابه في الأسماء أو لقرابة مع معارضين.

تخرج منال صورة والدها من حقيبة يدها خلال حديثها، تتأملها وتقبِّلها قبلات سريعة بكل حرقة وأسًى، وتتابع بصوت مبحوح: «اعتدنا كغيرنا المرور على الحواجز وتسليم وثائقنا الشخصية للعناصر، في ذلك اليوم سلمنا هوياتنا وجلسنا في السيارة بانتظار المرور، إلا أن رجلاً بلباس مدني ولهجة غريبة نادى أبي، ليلحق به إلى غرفة العناصر ولم أره بعدها».

انتظرت منال والدها داخل السيارة بقلب متسارع الدقات، يداها ترتجفان وعيناها تدمعان وهي تطيل النظر نحو باب الغرفة بانتظار خروج والدها، تقول: «خرج أحد العناصر الذي أخذ أبي وأشار للسائق بأن يكمل مسيره، لكنني استطعت أن ألمح طيف أبي بعد أن غُطّي وجهه بقميصه الرمادي وقيّد بسوار حديدي».

تجهش منال باكيةً: «وددت لو استطعت أن أنزل من السيارة وأركض نحوه»، وتضيف «أذكر نظراته وهو يربت على كتفي عندما نزل من السيارة، حدّق بي قائلاً: لن أغيب طويلاً».

عادت منال إلى المنزل وحدها، بعد أن بات مصير أبيها مجهولاً، لتبدأ عائلتها رحلة البحث عنه، فالجميع يدرك ما يتوجب دفعه من رشاوي لرجال الأمن، للحصول على خبر عن مفقود أو معتقل. تقول منال: «علمنا أنه معتقل في سجن صيدنايا بتهمة الإرهاب وتمويل المتطرفين».

مضت الأيام ثقيلة على كاهل العائلة، أقاموا في حلب الشرقية الخاضعة لسيطرة المعارضة لأربع سنوات، إلى أن تم تهجيرهم إلى إدلب في نهاية العام 2016. تستيقظ منال كل يوم مع إشراقة شمس الصباح، تصلي الفجر وتبدأ وردها اليوميّ، تردد مئات الأدعية التي حفظتها عن أبيها، ليرد إليها سالماً، تدعو بقلب يكاد ينفطر كلما تراود لمخيلتها صورته في المعتقل، تردد برجاء وأمل «أرجوك يا خيط الشمس المس جسد أبي».

منال المنجد تدعو بالفرج لوالدها أثناء صلاتها في منزلها بإدلب | عدسة بيان بيطار

# «هدى وابتسامتها».. حين تكون الإرادة أقوى من التهجير

عليا الأحمد

بابتسامة مشرقة وود بالغ، تستقبل هدى الزبائن في محل الألبسة الذي تعمل فيه في مدينة إدلب، تختار لهم الألوان، وتنصحهم بما يناسبهم، تلاطفهم وتمازحهم كأنهم أصدقاؤها القدامى.

هدى التي شارفت على الثلاثين اضطرت لمغادرة منزل عائلتها في مدينة تلبيسة بريف حمص، قبل ثلاث سنوات، تاركةً خلفها الأهل والأحباب والذكريات القديمة، لكن «قسوة الحصار وارتفاع وتيرة القصف، جعل حياتنا صعبة جداً، وأرغمنا على الخروج من تلبيسة»، هكذا كانت تقول لي حين التقيت بها أوّل مرّة.

في بداية رحلتها، قصدت هدى منزل أختها الكبرى في بلدة أورم الكبرى في ريف حلب، في رحلة دامت حوالي 13 ساعة من ساعات الحرب، مرت خلالها على عشرات الحواجز، وكانت عرضة للاعتقال أكثر من مرة، فهي تنتمي إلى منطقة ثائرة.

تضيف هدى: «خرجت بمفردي، بقي والداي مع إخوتي الذكور، فعبورهم من حواجز النظام انتحارٌ بالمعنى الحقيقي للكلمة».

بعد فترة وجيزة من إقامتها مع أختها في أورم الكبرى، تصاعد القصف على البلدة، فضلاً عن قلة فرص العمل، فقرر الجميع مغادرتها نحو مدينة إدلب، علّهم يجدون ظروفاً معيشية أفضل.

الأهل يعيشون تحت الحصار، ولا قدرة لهم على مساعدتها، ووجودها صار، بنظرها، عبئاً على أختها، والسبيل الوحيد هو البحث عن عمل وتحدي الصعوبات رغم أنها لم تعمل من قبل.

تقول «أعلم أنه لا يوجد عمل سهل، لكن رغبتي في الاستقلال مادياً ذللت كل الصعاب أمامي».

تعرّفت هدى عن طريق إحدى صديقاتها على سيدة تملك محلاً للألبسة النسائية في مدينة إدلب، فعرضت عليها العمل معها فوافقت.

«في البداية كنت أشعر بالخجل أثناء تعاملي مع الزبائن، لكن نساء إدلب طيبات المعشر، ولم يشعرنني أني غريبة بينهن، وأصبحت صديقة للجميع، يطلبن رأيي فيما يخترنه من ألبسة»، تقول هدى والأمل يملأ وجنتيها، والفرحة تعلو مقلتيها.

بالإرادة والعزيمة استطاعت أن تدخل مجال العمل، وتتجاوز آلام الغربة وتندمج في مجتمعها الجديد، حتى أن صاحبة المحل أوكلت إليها مهمة إدارة المحل لوحدها، ما جعل حياتها أفضل على الصعيد الاقتصادي، وتمكّنت من مساعدة أهلها في حصارهم.

## التهجير أنهى معاناتنا

في الوقت الذي كانت فيه هدى تتجه نحو الأفضل، كان أهلها يعانون الأمرّين من الحصار والقصف. تقول هدى بحزن: «توفيت إحدى أخواتي جراء قذيفة استهدفت الحي الذي يقطنون فيه في تلبيسة، وكدت أخسر أختي الثانية وأولادها تحت أنقاض منزلهم، لكنهم خرجوا جميعاً أحياء ببعض الإصابات والكسور».

طال غيابها عن أهلها، لم يكن قلقها عليهم يفارقها أثناء القصف، ولم يكن من سبيل لكسر جدران الغياب، فقد عاشت بلدة تلبيسة حصاراً خانقاً وقصفاً عنيفاً طوال فترة التصعيد على ريف حمص الشمالي، إلى أن انتهى بتهجير أهالي البلدة إلى إدلب في أيار 2018، وبينهم عائلة هدى.

تقول هدى: «كدت أفقد الأمل برؤية أسرتي من جديد، لم أعتقد أنّهم سيتمكّنون من القدوم إلى إدلب»، وتضيف: «رغم أن التهجير والنزوح أسوأ ما يمكن أن يتعرض له الإنسان، إلا أن ذلك أنهى معاناتهم ومعاناتي أيضاً».

صورة تعبيرية | طفلة داخل إحدى حافلات التهجير التي أقلت أهالي الغوطة الشرقية إلى الشمال السوري | 14 آذار 2018 | SY24

التقت العائلة في إدلب بعد غياب دام ثلاث سنوات، استطاعت هدى تأمين المسكن واللوازم الأساسية لهم، لكن سرعان ما تفرق شمل العائلة بعد موسم الهجرة إلى تركيا وأوروبا، وباتوا أسرى غياب جديد لكنه يبدو أنه هذه المرة أطول.

اليوم، هدى تحبُّ عملها بعد أن اضطرت إليه في يوم ما، وتشعر بالرضى عن نفسها التي كافحت في بيئة جديدة، واكتسبت الكثير من الخبرة والأصدقاء، وباتت تشعر بوجود استقرار نفسيٍّ لم تعهده من قبل، الابتسامة لا تفارق محيّاها وهي تقول بثقة «أنا اليوم مستقلة ومستقرة، أعيل نفسي وأساعد عائلتي، وأفكر بالعودة للدراسة من جديد».

# الحرب أخذت كل شيء إلا كرامتنا

تيماء دقماق

تدفن آسيا في قلبها شلال دموع وبركاناً يكاد أن ينفجر عن قصة زوجها الذي غيّبه القدر، وتتمنى لو أنها سبقته إلى ذلك.

آسيا ابنة الخمسة وعشرون عاماً، هُجّرت من مدينتها الرستن، إثر الحملة العسكرية العنيفة التي شنتها قوات النظام على مناطق ريف حمص الشمالي مطلع أيار الماضي، والتي انتهت بتهجير سكان تلك المناطق نحو الشمال السوري.

الرستن، تلك الحورية التي تنام على كتف العاصي، وعقدة الوصل بين الشمال والجنوب، من أوائل المدن التي خرجت عن سيطرة النظام، ثم كانت في اتفاق خفض التصعيد بعد ست سنوات عجافٍ من الحصار والدمار.

تقول آسيا «كتبت رسالة إلى زوجي قبل خروجي بساعات أخبره ما ألمّ بي، وما ألمّ بي كثيرٌ، وأنني سأخرج من مدينتي مغلوبة على أمري، قلت فيها: (هل تعلم يا فقيدي بأنني سأجاهد كي أربّي طفلتي في بلاد غير بلادها، وديار غير ديارها، ومع أهل غير أهلها، كم هو مؤلم أن يحمّلك واقعك فوق طاقتك بكثير! كم أشتاق إلى أن أبكي على كتفك وأضع هذا الحمل على كاهلك، فإنني لم أعد أقوى عليه.. لم أعد أقوى عليه.. حبيبتك)».

التكيُّف مع الواقع الجديد بعد التهجير أمر في غاية الصعوبة، تقول آسيا «لم أستطيع تقبل فكرة تهجيرنا من بيوتنا، ولكنه كان الخيار الوحيد، فإما أن تنتهك حرماتنا وتهدر دماؤنا وتيتَّم أطفالنا، وإما أن نخرج من أراضينا».

بكل ثقة تتحدث، وفوق هذا أحرقت منزلها بما فيه بيديها، إذ كيف يسكنه، بزعمها، أناس غرباء يستعملون أغراضها؟ تقول «في هذا المنزل عشت أجمل أيامي، حاولت حرق ذاكرتي بحرق منزلي، لكنها أبت إلا أن تتسلل إلى مكامن فكري، وتتغلغل في تفاصيل حياتي، وتعيش معي، وتسكنني على الدوام».

كانت المرة الأولى التي تصل فيها آسيا إلى قلعة المضيق، نقطة الفصل بين النظام والمعارضة، أعداد كبيرة من المهجرين من نساء وأطفال ورجال، حالة من الحيرة والحزن تغمر الجميع، وفرق المنظمات المحلية تنتشر هنا وهناك لتنقل الوافدين الجدد إلى مناطق متفرقة من محافظة إدلب.

كانت آسيا تحمل طفلتها وتبحث عن مأوى لهما بينما تنهمر من عينيها دموع تقف أمامها عاجزة لا تلوي على شيء! وصلت إلى مأواها الجديد في إدلب، حيث عشرات الأسر المهجرة من مختلف المناطق السورية.

لم يلفت انتباهها أي شيء مما رأته عيناها، صفوف مدرسية بسيطة جهزت على مقاس الأسر الجديدة التي ستسكن فيها، أثاث بسيط ومواد بلاستيكية تلصق على النوافذ لتقي ساكنيه برد الشتاء وحرارة الصيف، كل ما أبصرته كان خارج دائرة الحلم لديها.

الحمامات في المأوى مشتركة بين مجموعة من الأسر، إنه لأمر مخيف في هذا المسكن الجديد، لكن الغرفة الصغيرة كانت تكفيها لجمع همومها فيها، أسندت رأسها إلى الوسادة وصغيرتها إلى جانبها، وغطت في نوم عميق لم تذق حلاوته منذ سنوات.

شعرت بالتحسن في صباح اليوم التالي، أصوات عالية قادمة من الخارج أعادت إليها شعور الغربة في ذاكرتها، كانت أصوات قاطني المركز وهم يستلمون سلل الاستجابة الطارئة، غصت آسيا بما تبقى من رمق لديها، فاللحظة التي تحمل فيها صحنَك تنتظر به لقيمات تسدّ جوعك هي لحظات من الموت البطيء القاسي، إذ لم تتخيل أن تعيش لحظات بتلك المرارة «أين كنت؟ وإلى أين أودت بي الحياة؟ لقد عزّ علي حتى أن أطلب حليباً لطفلتي التي لم تذقه منذ سنة وأكثر»، تقول آسيا بحرقة.

كثيراً ما كانت تترك آسيا حصتها وحصة ابنتها، فمن عزّ عليها فراق أرضها رافضة مصالحة النظام، لن تهدر كرامتها على أبواب لقمة العيش في بلد المنفى الجماعي، تقول «لا معنى للعيش بلا كرامة، فالحرب أخذت كل شيء إلا كرامتنا».

بعد عناء استطاعت آسيا أن تكسب ثقة عدد من نساء مدينة إدلب، وصارت تطهو لهن أنواعاً مختلفة من الأطعمة التي تتطلب وقتاً وجهداً، وتأخذ مقابله أجرة قد تكون زهيدة، إلا أنها تكفي للقمة مثقلة بالكرامة، ومغمسة بكثير من الحياء!

سيدة مع طفلها في أحد مراكز استقبال المهجرين في ريف إدلب | عدسة مظفر سلمان

> «هل تعلم يا فقيدي بأنني سأجاهد كي أربّي طفلتي في بلاد غير بلادها، وديار غير ديارها، ومع أهل غير أهلها، كم هو مؤلم أن يحمّلك واقعك فوق طاقتك بكثير! كم أشتاق إلى أن أبكي على كتفك وأضع هذا الحمل على كاهلك، فإنني لم أعد أقوى عليه.. لم أعد أقوى عليه.. حبيبتك».

سيدات نازحات ومهجرات يعددن أصناف حلويات العيد السورية، وبيعها ليستطعن توفير مصدر رزق لهن.

الصور في منزل السيدة أمل مع صديقاتها، يصنعن حلويات «المعمول والغريبة».

عدسة: بيان بيطار
إدلب آب 2018

معاذ السراقبي، طالب في السنة الأولى في قسم القانون والشريعة، في جامعة «اكسفورد سوريا»، وهي جامعة خاصة في الشمال السوري.

نزح معاذ من القلمون بريف دمشق نحو الشمال السوري، بعد إصابة في عموده الفقري أدت لعجز في أطرافه السفلية.

لم يفقد معاذ الأمل، وتحدى إصابته والتحق بالجامعة، وواظب على حضور دروسه مستخدماً كرسيه المتحرك.

إلا أن حالته الصحية ساءت بعد عمليات جراحية أجراها مؤخراً، ما أعاقه عن حضور دروس الفصل الثاني.

ساعده زملائه، وباتوا يسجلون له المحاضرات، ويفتحون إتصالات مباشرة معه أثناء المحاضرات، ليتواصل مع المدرسين إن احتاج أي مساعدة.

يواظب الدكتور أحمد الطويل، نائب رئيس جامعة «أكسفورد سوريا»، على زيارة معاذ في منزله، وفي الصور يبدو الدكتور أحمد يتابع يزن في امتحانات الفصل الثاني.

عدسة: غيثاء الإبراهيم
إدلب تموز 2018

عانت أمل بردو، كغيرها من السيدات السوريات من مرارة الحرب، فقدت زوجها تحت أنقاض منزلها جرّاء سقوط قذيفة مباشرة، ولكنها لم تعجز عن متابعة الحياة لأجل من بقي من أهلها وأبنائها.
تكافح أمل لتعيش، وتثبت للجميع أنها ليست ضلعاً قاصراً، بل العكس تماماً، فتحديها للصعوبات زادتها قوة وصلابة، وأجبرتها على خوض تجارب قاسية لا تتناسب مع طاقتها، ومجحفة بحقها، بحسب ما تقول.
في الصورة تظهر السيدة أمل مع والدتها في منزلها بمدينة إدلب.

عدسة: بيان بيطار
إدلب - آب 2018

من نشاطات قامت بها منظمات من المجتمع المدني في محافظتي إدلب وحلب، بهدف تقديم الدعم النفسي للأطفال، عبر ألعاب وتسالي ونشاطات حركية ورسم على الوجوه بالألوان، خاصة خلال عيد الأضحى المبارك.

عدسة: عفاف جقمور
إدلب - ريف حلب آب 2016

# مخاض على طريق التهجير

أسماء العبد

نازحون من الغوطة الشرقية أثناء نزوحهم عبر معبر بلدة جسرين | 16 آذار 2018 | Getty

«ليس هناك شدَّة تعادل آلام الولادة أو تفوق عليها سوى الموت حرقاً». هذا ما كانت تردِّده علا في سريرتها أثناء معاناتها مع الطَّلْق المبكر الذي فاجأها خلال رحلة التهجير من الغوطة الشرقية.

علا ذات السبع وعشرين عاماً، أم لثلاثة أطفال، فقدت زوجها فراس إثر غارة جوية مخلِّفاً وراءه طفلاً وطفلة لم تكمل عامها الثاني، ثم عادت بوليديها أرملة إلى منزل أهلها.

«لم أشأ الزواج مرَّة ثانية، لكن ظروف الحرب أقوى مما نشاء»، تتحدث علا عن زواجها الثاني الذي سبق تهجيرها ببضعة أشهر، فقد أرادت أن يكون لأطفالها أبٌ يحنو عليهم، وكان أبو محمد نعم الأب على الرغم من إصابةٍ أفقدته إحدى قدميه، وشُلّت إحدى يديه. لم تمنع شدة القصف وقلة الأغذية عائلتها أن تكون بقربها تخفف عنها مرارة العيش خلال حصار طويل قضوه جنباً إلى جنب في أقبية الغوطة المزدحمة، فالحياة في الغوطة، بحسب تعبيرها «لم تعد تطاق في الأشهر الأخيرة، وعند بدء حملة التهجير خرجنا وكنت حاملاً بطفلتي الثالثة».

## الرحلة الطويلة والمخاض الأليم

«لم يكن قرار التهجير وتفريق الأهالي خيارهم، بل هو شرٌ لا بد منه» تقول علا، فكان أرحم على أهالي الغوطة أن يتركوا أرضهم ويبحثوا عن حياة جديدة في الشمال، من أن يوقعوا معاهدات تسوية مع من عاشوا تحت رحمة قصفه لسنوات.

حين وصلت العائلة إلى مكان الانطلاق كانت الحافلات قد ذهبت جميعها باتجاه الشّمال، لم يكن لديهم سوى خيارين، الذهاب إلى برزة التي لم تزل تحت سيطرة الحرِّ للذهاب بحافلات أخرى، أو العودة والمصالحة مع النظام التي رفضتها عائلة علا بينما كان أهلها في الغوطة يحاولون إقناعها بها، اضطروا للذَّهاب من الغوطة إلى القابون، ومن ثمَّ إلى حي تشرين وصولاً إلى حيٍّ برزة، حيث تقف الباصات.

الطريق محفوفاً بالمخاطر قذائف هنا وغارات هناك، ألم جسدي يتفاقم مع زيادة وتيرة آلام المخاض، لم يحن بعدُ وقت الولادة، إلا أن الآلام التي عانتها علا أوحت بملامح ولادة مبكّرة.

«وصلتُ إلى برزة بقدمين لا تقويان على الحركة، اضطررنا للسير مسافات طويلة، فالحصول على حافلة كان أمراً مستحيلاً». تقول علا عن رحلتها التي تطلَّبت منها السير لساعات طويلة لتصل إلى حي برزة مساءً، ويتوجب عليها مغادرته صباح اليوم التالي في آخر الحافلات التي تقل المهجرين من الغوطة الشرقية إلى إدلب.

نصحها زوجها بالراحة والنوم قبل موعد انطلاق الحافلة، لكن بعد ساعات قليلة جاءها المخاض، ولم تكن هناك أي مشافٍ أو أطباء، إذ إنَّ الأطباء وطواقم المستشفيات كانوا في مكان آخر يتحضرون للسفر أيضاً، ولم يكن في حيٍّ برزة من يساعدها سوى الداية أم عبد اللّه، التي نقلتها إلى منزل متواضع لأحد أقاربها، لتلد طفلتها الثالثة وتغادر الحي بعد ساعة واحدة من ولادتها.

## حياة جديدة

ثلاثة أيام أخرى تمَّمت معاناة علا وعائلتها في رحلة تهجيرهم، ليستقروا في مخيم ساعد جنوب مدينة سلقين في ريف إدلب الشمالي الذي جُهّز، وخاصة، لمن هجّر من ريف دمشق.

«لم تكن حياتنا في المخيم كما نشاء»، تقول علا وهي ترتِّب الوسائد في بيتها الحالي، وتضيف «قبلت العيش في المخيَّم لأجنّب أطفالي مرارة نزوح جديدة، لاسيما الرضيعة التي أنهكها السفر الطويل».

ومع تزايد أعداد المهجرين، لم تعدِ الحياة تطاق في المخيم، فتأمين لوازم الحياة الأساسية فيه أمرٌ في غاية الصعوبة، لذا قررت علا وزوجها تركه والتوجه نحو مدينة إدلب بعد حوالي شهر، ليستقرُّوا في غرفة متواضعة تضم «إسفنجات» للنوم، وبضع وسائد وحاجات بسيطة أخرى، وبجانب الغرفة أقيم مطبخٌ صغير بتجهيزات قليلة.

حصلت العائلة على بعض المساعدات الإغاثية عن طريق المنظمات الإغاثية والجمعيات الخيرية، إلا أن الحياة تتطلَّب المزيد، فبعد أن تعافت من ولادتها واستقرَّت في منزلها الجديد، أصبح بمقدورها مساعدة زوجها بتأمين نفقات العائلة، عن طريق تحضير أصناف المؤونة وبيعها، ممتنة بذلك للعمل الذي ساهم في استقلالها وتمكينها في مجتمعها الجديد.

تنظر علا إلى طفلتها الرضيعة هاجر، وقد جاوزت اليوم أشهرها السبعة، تتذكّر ولادتها وتهجيرهم اللذين حصلا سويةً وفي يوم واحد. تقول: «لطالما رغبت أن تنعم طفلتي برائحة دمشق ومائها قبل خروجنا منها»، وتضيف «سأرضِعُها حُبَّ دمشق، وأغرس فيها، مع إخوتها، شوقاً يحميهم من النسيان».

«لطالما رغبت أن تنعم طفلتي برائحة دمشق ومائها قبل خروجنا منها، سأُرضِعُها حُبَّ دمشق، وأغرس فيها، مع إخوتها، شوقاً يحميهم من النسيان».

# حائكة جراح الماضي

سلام زيدان

عبر ماكينة خياطة متواضعة، تخيط رابية، ذات الثلاثين عاماً، ثوب صغيرتها آية، بقيَّتها من عائلتها بعد اعتقال زوجها في بلدة كفر بطنا بالغوطة الشرقية، مطلع الاحتجاجات في آذار من العام 2011.

عاشت رابية مع زوجها قصة حب جميلة، كان والدها السبعيني يرفض زواج الأقارب، ويؤثر زواجها من ابن صديق له على زواجها من ابن خالتها الذي تحبه وتقدم لخطبتها.

تستعيد رابية في ذاكرتها شريط صور عائلتها التي تعتبرها «مثالية»، فهي كما تصف نفسها «حالمة ومرنة»، وزوجها متفانٍ في إخلاصه للعائلة، ما جعلها تنعم براحة واستقرار بدأت تفقده منذ أن اعتقل زوجها وتوفي ابنها الأكبر عمارة، وتلا ذلك سنوات الحصار الصعبة في الغوطة الشرقية، ومن ثم تهجيرهم نحو الشمال السوري في آذار الماضي.

تطل رابية من شرفة بيتها في إحدى قرى جبل الزاوية بريف إدلب نحو الشارع، وكأنها ترنو بعينيها نحو مستقبل غامض ينتظر عائلتها الصغيرة، تراودها أفكار كثيرة، ترسم من خلالها مخطط أيام مقبلة جديدة تراها «صعبة وحاسمة».

وجودها في الغوطة كان يمنحها قوة كامنة تستطيع بها مواصلة حياتها، ربما لقربها «جغرافياً»، بحسب وصفها، من زوجها وإن غيَّبته السجون، أما اليوم، فمئات الكيلومترات تفصلها عنه وعن بيت بنياه معاً وضم حلمهما الأول.

رابية أثناء عملها على ماكينة الخياطة التي اشترتها من مدخراتها | عدسة سلام زيدان

تعرفت في القرية التي تعيش فيها على مجموعة من الصديقات، ساعدنها ودعمنها، ووفرن لها عملاً في ورشة للخياطة، تعلمت فيها المبادئ الأساسية، لتصبح بإصرارها وحبها للتعلم محترفة بمقدورها إنتاج قطع فنية متميزة، تقول عنها: «إنها تعكس ما بداخلها، وتعبر عن جراحها».

ادخرت رابية بعضاً من المال الذي تجنيه من عملها في المشغل، فاشترت ماكينة خياطة متواضعة بدأت بها عملها الخاص، ومع مرور الوقت بدأت تقتني أصناف القماش التي تغطي كامل حاجتها.

اليوم، استقلَّت رابية مالياً، وتتابع تطوير ورشتها الخاصة، إذ اتخذت منها باباً للرزق، وللسلوى عما مرَّت به خلال سنواتها الأخيرة، بانتظار فرج قريب.

# بابا عمرو! حملت غيابك كرهاً على كره

نيرمين خليفة

مريـم الغنطاوي، أم لثلاثـة أولاد وبنت، من أهالي حي بابا عمرو في مدينة حمص، الذي سـوّته قوات النظام بالأرض بعد اسـترداده من المعارضة سنة 2013.

كان رد النظـام عنيفـاً تجاه الحراك السـلمي في الحـي الثائر، إذ اسـتُهدف أهله برصاص عناصر الأمن بشـكل عشوائي، دفع الكثيرين إلـى النزوح عنـه، تقول مريـم: «خرجنا نحو منطقة قريبة حتى يتمكن زوجي من مواصلة عمله، الموظف في إحدى الدوائر الرسـمية»، وتضيـف «بعد فتـرة وجيزة تعـرض لإصابة أثناء ذهابه إلى العمل، تسبب له بإصابة بالغة الخطورة في يده وكانت تنزف باستمرار».

الخيـارات أمامها محـدودة، فليـس بإمكانها إسعاف زوجها إلى لبنان القريبة، بينما يأكلها الخـوف من إسـعافه إلـى مشـافي النظام، ولكـن هما أمـران أحلاهما مـرٌ! حالة الزوج الصحية السـيئة دفعت مريـم لمعالجته في أحـد مشـافي النظـام في حـي الإنشـاءات، وخضع لعملية جراحية أنقذت حياته.

قـررت علـى الفـور العـودة إلى بابـا عمرو، بعد أن بثّت قوات النظـام تطمينات للأهالي أن باسـتطاعتهم العودة إلـى منازلهم، بعد سـيطرتها علـى الحي بشـكل كامـل، إلا أن كارثـة قد حلـت علـى مريم وأسـرتها، فقد تعـرض المنـزل للمداهمـة من قبـل قوات النظـام بعـد يومين من خـروج الـزوج من المشفى، وسيق إلى جهة مجهولة لم تُعرف حتى اليوم.

انتقلت مريم وأولادها بعد اعتقال زوجها إلى بيـت أهلها، تقول «عملت في تنظيف البيوت لأستطيع إعالة أسرتي، فليس بمقدور أهلي مسـاعدتي»، ظلت مريم سنتين تعمل على هـذا النحـو، عاشـت خلالهما كباقي سـكان الحي، مضايقات مستمرة من عناصر النظام بهدف تهجيرهم، حمـلات تفتيش ومداهمة دائمة، فضلاً عـن المضايقات والإهانات من قبل عناصر الحواجز.

تضيـف مريم «كان بإمكان أي عسـكري أن يأخـذ ولداً من أولادي يوميـن أو أكثر لينظف ويطبخ له دون أن تكون لدي الجرأة للسـؤال عنه».

مريم الغنطاوي تعني بمزروعاتها في منزلها بإدلب | عدسة نيرمين خليفة

حصلـت بعد ذلـك على عمـل كممرضة في مشفى خاص بحي الإنشاءات، إلا أنه سرعان مـا اتهمهـا عناصـر الحاجـز بسـرقة المواد الطبيـة والعمـل فـي المشـافي الميدانية، بعـد أن أوقفهـا أحدهـم وشـاهد «مريول» التمريض الأبيض الذي تحمله، غطى الخوف علـى أولادها قلبها، فقررت ترك العمل حتى قبـل أن تحصل على أجورهـا. تقول «كانت أدنى خبرة بالعمل الطبي آنذاك تشكل تهمة كبيرة قد تودي بصاحبها».

غادر أهل مريم الحي بعد أن طُلب شـقيقها الأصغـر لخدمـة الاحتياط، وتعـرض والدها للتهديد من قبل عناصر الحاجز بعد أن علموا بسـفر باقـي أبنائه الذكـور، فبقيت هي مع أبنائهـا في منزلهم بانتظـار خبر عن زوجها المعتقـل، ثـم اضطـرت للخـروج على وجه السرعة بعد أن أخبرها أحد جيرانها أن اسمها موجود على حاجـز الحي، وقد يعتقلونها في أي لحظة.

قصـدت مريـم مدينـة إدلـب، كان ذلـك مع بدايـة خروجهـا عن سـيطرة النظـام مطلع العام 2015، حيث نشطت مؤسسات المجتمع المدنـي هنـاك، فتقدمـت مريـم بوظيفـة إلى إحـدى المؤسسـات، تمكنت مـن خلالها تأميـن عيش كريم، لهـا ولأبنائها، حتى إنها اسـتطاعت إرسـال المـال لوالدهـا وإخوتها المقيمين في دمشق.

تنعـم مريـم باسـتقرار نسـبي اليـوم في موطنهـا الجديـد مـع أبنائها، وبعـد حملات التهجيـر اسـتطاعت أن تلتقـي الكثيـر مـن أحبَّتهـا الذيـن هُجّـروا مـن ريـف حمص الشـمالي ومـن درعـا، ليحطوا الرحـال في بيتهـا، وتكـون عونـاً وسـنداً لهـم، تفيض عليهم بالمودَّة والكرم، قبل أن يسـتطيعوا متابعة حياتهم الخاصّة في إدلب.

# «سدرة المنتهى» قبسٌ من علم

آية رضوان

تخرجت سـدرة المنتهى ذات الثلاثين عاماً من قسـم الرياضيات فـي جامعة حمص، وحصلت على دبلـوم تأهيل تربوي، حبها للعلم كان يكبر معها، ولم تسـمح لتقاليد العائلـة أن تحرمهـا شـغفها فـي البداية، لكنّها وقفـت عائقاً فـي متابعة طموحها بالحصول على الماجستير.

كان والدهـا «صعـب المـراس» بحسـب وصفهـا، ويمنـع بناتـه مـن مواصلـة تعليمهن، إلا أنهـا بإصرارها وأخذها بكل الأسباب، استطاعت إقناعه إلى أن حصلت علـى شـهادة جامعية بتفوق، ممـا خولها للالتحاق بالدراسات العليا.

كانـت عائلتهـا تقيم في حـي الوعر، الذي يتسـم بموقـع اسـتراتيجي مـن الجهـة الغربيـة لمدينـة حمـص، ويحـاذي تجمع الكليات العسـكرية، إضافة إلـى قربه من الطريـق الرئيسـية ومصفـاة النفط، كما يضـم مؤسسـات حكوميـة عدة، مـا جعل وضعهـم في خطـر دائم مع كل انشـقاق للجنود مـن جيش النظام، دوريات تفتيش دائمة واشتباكات وحظر للتجوال، بالإضافة للقنـص المسـتمر لأي حركة يشـتبه بها، وتعطيل حياة المدنيين في الحي، فانتقلت وعائلتهـا مـن أطرافـه إلـى منـزل جدتها الواقع داخل الحي بحثاً عن الأمان.

حالت إقامتها هناك دون أن تكمل دراسـة الماجسـتير، فالخروج من الحـي المنعزل يومياً بـات صعباً فـي ظل الأحـداث التي كانـت تشـهدها حمـص آنـذاك، إلا أنهـا لم تستسـلم وقررت الالتحـاق بـ «دبلوم التأهيـل» الـذي لا يتطلـب الانتسـاب له حضوراً يومياً، تقول سـدرة: «اسـتغرقت دراسـة الدبلوم عاماً ونصـف، إلا أنني لم أستسلم وقررت المتابعة».

حصلت مجدداً على معدلات عالية وأصبحت معيـدة فـي الجامعـة، وتقدمـت عندهـا لدراسة الماجسـتير على أمل ألا تعاكسها الظـروف هـذه المرة، لكن التشـديد على الحواجـز منـع أي أحـد مـن الخـروج مـن حـي الوعـر إلا ببطاقة موظـف دائم لدى المؤسسات الحكومية، ومنعها من الخروج لعدم امتلاكها تلـك البطاقة، حاولت جلب ورقة تثبـت أنها معلمة بإحـدى المدارس واستطاعت إكمال السنة الدراسية الأولى.

كانـت تقـوم بعملهـا كمعلمة إلـى جانب دراسـتها في الدراسـات العليا، في الوقت الذي أصبح فيه حي الوعر ملجأً للمهجرين من أحيـاء حمـص القديمة، لاسـيما بعد مجزرة كرم الزيتون في شـباط من العام 2012، تشـكلت بعدها موجة نزوح كبيرة في تشـرين الأول 2013، غادر حينها آلاف المدنييـن إثـر المعارك الدائرة واسـتقبل الحي كثيراً من الوافدين.

أحبت سـدرة أحـد المقاتلين فـي صفوف المعارضـة، ولحقـت بـه إلـى الشـمال السـوري، بعـد أن تخلّـت عـن مسـيرتها العلميـة التـي شـكّلت عائقاً أمـام لقائها بزوجها، ولم تسـتطع العـودة إلى حمص مجدداً خشية من الاعتقال.

فـي موطنهـا الجديـد فـي مدينـة إدلب، تسـعى سـدرة بشـغفٍ لتحقيق أحلامها، وهي اليوم أسـتاذة محاضـرة في جامعة إدلـب، كمـا التحقـت بإحـدى المـدارس وأصبحت مشرفة عامة فيها.

# هلوسات أطفال الحرب

تيماء دقماق

كان متعلقاً بها تعلقاً شديداً، ترسم البسمة على محيّاه، وهي الأنثى الوحيدة بين إخوته الذكور الستة، والأكثر قرباً إلى قلبه.
أمسك عمر، ذو الثانية عشر من عمره، بيد أخته سلام ذات السبعة أعوام، وهما يقطعان الشارع الرئيسي في سوق مدينتهم القنيطرة، ليحضرا بعض ما طلبته منهما أمهما.
شيء ما كان غريباً يومها، ازدحام غير مألوف، الناس تتحدث عن هجوم وشيك لقوات النظام على المدينة، فجأة انطلقت صفارة الإنذار، أعقبها انفجار ضخم هز السوق بمن فيه.
لحظات قليلة ويستفيق عمر من هول التفجير، بكاء وصراخ في كل مكان، أصوات سيارات الإسعاف تقترب شيئاً فشيئاً. يقول «استيقظت بعد مدة لم أعرف كم استمرت، وأعمدة الدخان تتصاعد»، ويضيف «ناديت بأعلى ما أملك من قدرة على الصراخ: سلام!! أين أنت؟ نحن لسا في لعبة الغميضة، اخرجي وأنت الفائزة».
يبكي عمر، ويكمل «كنت أنادي وأنا أشعر بألم من نوع غريب، التفتُّ إلى يدي فلم أجدها، أين يدي يا اللّه»، أمضى عمر دقائق لا يعي فيها سوى أخته الضائعة ويده المفقودة، كان يبحث في المكان كالمجنون، ويده تنزف، وجد يداً تبدو كأنها لرجل أكبر سناً، أمسكها وحاول وضعها مكان يده المفقودة، تأملها برهة، وعاد ليجيب حيرته بنفسه «لا.. تلك العروق البارزة ليست لي» ثم لم يستفق من وعيه بعد.

## عمر وحيداً بلا سلام!

في تموز الماضي دخلت القنيطرة مع مناطق جنوب سوريا ضمن اتفاقيات خفض التصعيد، لكن النظام كثّف عملياته العسكرية وقطّع أوصال المنطقة ومنع إدخال المساعدات، للضغط على الأهالي للقبول بالتسوية أو التهجير إلى الشمال السوري.
وصل عمر إلى مدينة إدلب ووقف مع والديه وإخوته ينتظرون إعلامهم في أي مركز سيبيتون ليلة التهجير الأولى، يقول «كان الطريق طويلاً ومملاً، لم أسمع بكاء سلام وهي تقول لي: أريد النوم، أو أنا جائعة أريد الطعام، هذه أول رحلة لا تكون سلام معي فيها، أفتقدها كثيراً، لكنها وعدتني أنها ستلحق بنا في رحلات قادمة في الحافلة الخضراء نفسها».
أسكنوهم في مدرسة أُعدّت لاستقبال النازحين، وبعد بضعة أيام خرج عمر إلى باحة المدرسة، جلس في ركن منعزل وحيداً، تبدو على ملامحه علامات الانكسار والخيبة، انتبه له أحد متطوعي فريق الدعم النفسي، اقترب منه حاول محادثته وأخذه إلى حفل أقامه الفريق للأطفال تضمن ألعاباً وتسالي.

صورة تعبيرية لأطفال سوريون نازحون في أحد مخيمات الشمال السوري | GETTY

لم يكترث عمر كثيراً للحفل، لكن عندما حانت لحظة توزيع الألعاب، اقترب عمر بلهفة إلى الشاب الذي أحضره، وطلب منه بخجل لعبة لأخته، فسأله الشاب «أين هي أختك؟!»، فأجاب «سلام نائمة وسأعطيها اللعبة فور استيقاظها»، فاختار له الشاب لعبة له ودمية صغيرة جميلة ذات شعر ذهبي لأخته، وقال: «في المرة القادمة أحضرها معك للحفل»، هز عمر رأسه موافقاً، حمل دمية سلام وركض دون أن يأخذ لعبته. أصبحت هذه الدمية أنيسة عمر ورفيقته في وحدته، فصار يوقظها كل صباح، يخرج بها إلى الحديقة، يروي لها قصصاً من خياله الواسع ثم يعود بها إلى غرفته ليتناول الغداء وهي بجانبه، وفي كل ليلة يرتّب لها مكاناً مريحاً لتنام فيه.
بالغ عمر في تعلقه بدمية سلام، وبات وكأنه غريبٌ عن أهله، وحيداً منفرداً، يعاني من الكوابيس أثناء نومه، وينادي لأخته سلام بين الحين والآخر، اضطراب مزاجه وعدم قدرته على الاندماج في أي سلوك اجتماعي أثار قلق والديه، فعرضاه على طبيب نفسي مختص ليبحث في حالته، ومدى خطورتها وتأثيراتها الجانبية في المستقبل.
بدا الطبيب قلقاً تجاه عمر، ووضح لأبويه أنه تعرض لصدمة بالغة في الشدة مما سبب في تأزُّم حالته النفسية، ومع مرور الوقت وغياب أخته الدائم تطورت هذه الحالة لتصبح اضطراباً، أخبرهم أن عمر يعاني من كرب ما بعد الصدمة، وهي حالة نفسية متأزمة تحصل بعد التعرُّض لحدث صادم ومؤلم، وأكد لهم أنه يحتاج إلى الرعاية النفسية والصحية.
يسير عمر اليوم على طريق التعافي مما أصابه بعد وفاة أخته وبتر يده، تسانده عائلته، ويتابع الطبيب المختصُّ حالته، يندمج تدريجياً في مجتمعه، ولا يفارقه الأمل بوصول أخته في الحافلة الخضراء كما وعدته.

# من دير الزور إلى إدلب.. نور في عتمة الصحراء

علياء الأحمد

حصلت نور ذات الثلاثين عاماً على إجازة في اللغة الإنكليزية من جامعة الفرات بمدينة دير الزور في العام 2012، وعملت كمعلمة في مدارس مدينتها الميادين، قبل أن تغادرها بعد سيطرة «تنظيم الدولة الإسلامية» عليها سنة 2014.
مع تمدُّد التنظيم في المنطقة الشرقية أجبرت نور، وغيرها الكثيرات، على ترك التعليم وهجرة المدينة بعد تصاعد حدة القصف، وتزايد التضييق على النساء من قبل عناصر التنظيم، الذين سيطروا على جميع مفاصل الحياة، ويحكمون بقوانين صارمة وظالمة، تبدأ بالجلد ولا تنتهي مع قطع الرؤوس.

## النزوح من الجحيم

لم تعد الحياة هناك تطاق، فقررت العائلة الخروج. تقول نور: «كان الوضع أشبه بالجحيم، من الصعب أن نعيش في ظل عشرات الغارات اليومية، تركنا الميادين مع أقاربنا الذين يصل عددهم لحوالي 80 شخصاً، معظمهم من النساء والأطفال، وقصدنا البادية، افترشنا العراء شهراً كاملاً، حتى قررنا الخروج سراً نحو مكان أكثر أمناً، فالتنظيم يمنع الخروج نحو (بلاد الكفر) كما كان يسميها».
اتفق والدها مع أحد المهربين، الذي أخرجهم جميعاً في ظلمة الليل بحافلة نحو مشارف مدينة الحسكة، هناك أشار إلى ضوءٍ بعيد جداً، وقال: «هناك أنتم في أمان»، مشت قافلة العائلة في طريق مليء بالأشواك، ولم يستطيعوا خلاله إشعال أي ضوء خوفاً من استهدافهم.
وصلوا إلى مصدر الضوء بعد ساعات، اقتربوا من مصدر الضوء فوجّهت لهم تهديدات باللغة الكردية، فهموا أنها تحذير بعدم الاقتراب، صاح والدها: «معنا نساء وأطفال لا تطلقوا النار»، حاول أقرباء آخرون تأكيد ذلك، وغامر أخوها وابنته الرضيعة وزوجته بالاقتراب من الحاجز ليتأكدوا منهم، ليسمح للجميع بالاقتراب.
فتشت حقائبهم وهواتفهم المحمولة والمحادثات والتسجيلات الصوتية، ثم أخذوهم إلى قرية طينية مهجورة قريبة، تقول نور: «اكتشفنا في اليوم التالي أننا كنا نمشي في حقل من الألغام، من حسن حظنا أنه لم ينفجر بنا أي منها».
عرفت العائلة أنها في مخيم السدِّ سيء السمعة، والذي يفتقر إلى أبسط مقوِّمات الحياة، فلا مياه ولا كهرباء ولا دورات مياه ولا خيم كافية أصلاً، تضيف نور: «المخيم أشبه بمعتقل مفتوح، تُسلب فيه جميع الأوراق الثبوتية فور الدخول لمنع المغادرة، تنبّه والدنا لذلك، فخبأ أوراقنا وأقمنا هناك لأيام ريثما اتفق مع مهرب آخر لإخراجنا من المخيم إلى مدينة الحسكة في وقت لاحق».

سيدة وابنتها في مخيم السد جنوبي مدينة الحسكة | تشرين الأول 2017 | AFP

## النزوح مرة أخرى

بعد عشرة أيّام بدأت رحلة النزوح الثانية، تتابع نور «خرجنا ليلاً في سيارة يقودها أحد المتنفذين الأكراد إلى منطقة الشدادي، ولم يوصلنا للحسكة حسب الاتفاق»، بقيت نور مع عائلتها في بيت امرأة عجوز في الشدادي ليومين، حتى تسنَّى لهم الخروج إلى مناطق درع الفرات قرب إعزاز، لكنهم لم يستطيعوا تحمل تكاليف المعيشة المرتفعة هناك، خاصة بعد أن وضعوا كل مدخراتهم في جيوب المهربين.
تعيش نور في مدينة إدلب منذ ما يقارب السنة، والحياة صعبة لكنّها أكثر سهولة من المناطق التي مروا بها خلال رحلة هروبهم من الميادين.
تدور اليوم شائعات كثيرة حول منطقتهم، ما يجعل من المستقبل مجهولاً بالنسبة إلى نور، تضيف قائلة «ما تزال حقائبنا جاهزة للرحيل في أي وقت، عائدون نحو مدينتنا أو في رحلة نزوح جديدة لست أدري».

# منال ترسم حياتها من جديد

سلام زيدان

لطالما انتظرت منال، ابنة حوران وذات الـ 26 ربيعاً، التخرج في قسم اللغة الإنكليزية، لتلتقي بابن عمها وشريك حياتها هاني، ويعيشا حياتهما التي رسما لها سوياً منذ بضع سنين خلت، غير أنَّ الظلم فتك بها، وسلبها وهاني لوحتهما وأحرقها فيما حصد من البشر والحجر.

اندلعت الثورة السورية في مدينتها درعا بينما كانت تحضِّر لامتحانات السنة الأخيرة في قسم الأدب الإنكليزي في كلية الآداب بجامعة دمشق، «نصحني والدي بالتخلي عن الجامعة والعودة، وكذلك فعل هاني، لكني لم أستطع التخلي عن شهادة تخرجي التي سأنالها قريباً بعد جهد طويل» تقول منال.

الإرادة والعزم جعلاها تتغلَّب على المصاعب وتجتاز الامتحان، لولا أن هاني اتصل وأخبرها بحديث مقتضب أن عليها العودة إلى درعا سريعاً بسبب مستجدات كثيرة حصلت في غيابها.

كانت تتابع خلسة القنوات الإخبارية، متجاوزة قرار المدينة الجامعية بمشاهدة التلفزيون الرسمي وحده، وتسمع عمَّا يحل بمدينتها، تقول منال «كل ما يتحدث عنه الطلاب، عدا الولاء للنظام، خيانة! الاتصالات محدودة ومراقبة، وأبناء المدن الثائرة متهمون على الهويَّة».

شعرت منال بانقباض في صدرها بعد الاتصال المقتضب، فقررت ترك الجامعة والتخلي عن امتحان التخرج الأخير، لملمت بعض أشيائها وفي فجر اليوم التالي كانت خارج أسوار المدينة الجامعية بعيداً عن أعين الجميع، واستقلت حافلة من مكان قريب نحو مدينة درعا.

تجاوز سائق الحافلة المرور الحواجز كلها من غير أن يزعجه أحد، إلا حاجزاً على مدخل المدينة أوقف الحافلة وأخذ هويات الركاب جميعاً وبدأ العناصر بتفحصها هويَّة هويَّة.

أخفت منال عينيها الزرقاوين بإحدى يديها عن أحد العناصر الذي صار «يبصبص» من نوافذ الحافلة، ويلوح بسلسلة صغيرة ويرمق الركاب واحداً تلو الآخر، بعد لحظات فتح باب الحافلة ونادى باسمها، أجابت بصوت متهدِّج «نعم»، فأشار لها بإصبعه أن انزلي من الحافلة.

## خارج المكان والزمان

آخر ما استقرَّ في ذاكرتها منذ اعتقالها هو لحظة وصولها مع معتقلين آخرين إلى مدخل مطار المزة العسكري، وصور المعتقلات اللواتي رأتهنَّ أوَّل مرة، عندما ألقوها في زنزانة بحجم مطبخ صغير، تضم أكثر من 60 معتقلة.

في تلك اللحظة تجمدت الدماء في عروقها، ولم تعد تقوى قدماها على حملها، فألقت رأسها المثقل على الجدار وأغمضت عينيها على صورة من تحب، عسى أن يشاركها ألمها، ويحمل عنها بعض همِّها، تقول: «لم أدرك أني اعتقلت، في الأيام الأولى كنت خارج الزمان والمكان»، وتضيف: «يمر الوقت ثقيلاً في الزنزانة، ليس فيها سوى صرير أبواب الزنازين، وأنين المعتقلات، وجدران مشبعة برائحة الدم».

أمضت منال ثلاث سنوات في معتقل المخابرات الجوية في مطار المزة العسكري، وهو من أشدِّ الأفرع الأمنية ضراوة، ويقبع في داخله المئات من المعتقلين، بينهم الكثير من النساء والأطفال، وكثيراً ما كانت تصحو على صفع السوط يدمي وجهها. التعذيب المتواصل صيَّر الجسد النحيل ورقة يابسة تذروها الرِّياح أو تكاد، وترتمي في أرض الزنزانة الممتلئة بعشرات المعتقلات الأخريات اللواتي يتعرضن لتعذيب مماثل، كانت زميلاتها يضمِّدن جراحها ويساعدنها على التعافي بعد كل جولة تعذيب، علَّهن يخفِفن عنها بعض ما هي فيه.

وحدها صور عائلتها تسكن ذاكرتها، وحين يجيء شريط الذكريات تعزي ذاتها المكبَّلة بالقيود أنَّ اهلها بخير، وأنها ستخرج وتستعيد كل ما رسمته من أحلام، ثم يقطع الدمع هذا التخيُّل؛ فصراخ المعتقلين يصم الآذان، ورائحة الموت تنبعث من عتمة المنفردات الباردة.

منال وهي تمارس هوايتها في الرسم في مدينة إدلب | عدسة سلام زيدان

في منتصف تشرين الثاني سنة 2015، أفرج النظام عن منال مع معتقلات أخريات في صفقة تبادل، ورأت ضوء الشمس البهيَّ أول مرة منذ ثلاث سنوات، احتاجت عدة أيام حتى استطاعت اللقاء بأهلها الذين ظنوا أنها غادرت الحياة يوم أن اختفت قبل ثلاث سنوات، أخبروها أن ابن عمها هاني توفي بعد أن انضم إلى إحدى الفصائل لقتال النظام ثأراً لها.

تملك منال إرادة قوية؛ فقد استطاعت أن تتعافى من آثار الاعتقال بعد شهور قليلة، وساعدها على ذلك دعم أهلها لها. تقول: «كثيرات فارقن الحياة في أقبية المعتقل، وأخريات خرجن وواجهن رفض أهلهن ومجتمعهن لهن، لكن أفراد عائلتي وقفوا إلى جانبي حتى تجاوزت محنتي».

تعيش منال اليوم في إدلب بعد أن هُجِّرت وعائلتها من درعا أوائل تموز المنصرم، وتكمل جلسات العلاج النفسي، وتشارك مع إحدى الفرق التطوعية في حملات تعليم الأطفال المهجرين، كما استعادت مهارتها في الرسم، وبدأت ترسم لوحات جديدة تضيف الأمل والألوان إلى حياتها.

# الحرب علمت منال فنها

أسماء العبد

من أعمال منال الفنية | عدسة أسماء العبد

بدقـة كبيرة وبخفـة لامتناهية، تلصق منال الخرز واللؤلؤ الصناعي على أواني الزينة، وتزيّـن أخرى بشـرائط صغيرة مـن القمـاش الملـون أو المجوهـرات التقليدية.

تقـف منال الشـيخ أمـام طاولـة كبيرة ترتـب منتجاتهـا الحرفيـة، فالمعرض يطـرق الأبـواب، وجـذب الزائرين ذوي الأذواق المتعدِّدة أمر ذي بال.

في منزلهـا المتواضع فـي مدينة إدلب وفي غرفة يكاد الضيق يخنقها، تعرض منال ما تصنعـه يداها بمهارة، فتتحول تلـك الغرفـة إلـى لوحـة فنيـة تجذب ناظريك بـكل تفاصيلها، قد أبدعتها يد أنثى تعيش زمن الحرب.

تنحـدر منـال وزوجهـا مـن معضميـة الشـام، عانوا ويلات الحصـار لأكثر من سـنتين، وعندما فـرض عليهم الخروج خرجـوا يحملـون بعضـاً مـن الملابس والكثير من الأسى والحزن.

بيديهـا تلصق منال بعـض اللؤلؤ على كأس زجاجية تحملها، وبلسـانها تصف رحلة الهجرة إلى الشـمال، «اسـتغرقت رحلة الوصول إلى إدلب يومين كاملين، ونزلنـا بدايـة فـي مدرسـة «إحسـان مبيض»، لـم يدم بنا الحال طويلاً حتى غادرناهـا بحثاً عن مأوى آخر مسـتقل، وبدأت أنا وزوجي رحلة البحث عن عمل مناسب أيضا».

عمـل زوجهـا بأعمـال كثيرة وسـاعات طـوال، وبأجـر قليـل لا يغطـي أجـرة المنزل الذي يقيمـون فيه، فالبحث عن عمل لهـا هي أيضاً لتسـاند زوجها بات لا منـاص منـه. لم تكن منـال تجيد أي مهنـة ذات مردود جيد، فهي في عقدها الثاني، وطفولتها أمضتها في اللعب.

السـبيل الوحيـد هـو أن تلجأ إلـى أحد مراكز التدريب علّها تجد حرفة تناسبها، وتكسـب مـن ورائهـا مـا يكفيها شـر السؤال.

تعـاود التقاط الكأس الذي وضعته أمامها لتلصق عليه شريطاً أبيض يعانق الكأس مـن كل نواحيـه، وبصـوت ملـؤه القـوة تشـرح «كانت سـاعات العمل فـي مركز التدريـب طويلة جداً، لا يسـمح لنا خلالها بالخـروج أو التحدُّث عبر الهاتف، لقد كان أشبه بالسـجن، وأنا التي كنت توّاقة إلى الحياة، لكن كثيراً ما كان ينتابني شـعور بأني لن أكمل هذا التدريب».

> تقاوم منال الحياة لتحيا حرةً كريمة، تذكر مقولتها في كل مناسبة «حرفة تعيننا على مصائب الدهر خير لنا من ذلّ السؤال».

لـم تكـن منال مـن النسـاء الضعيفات اللواتي طحنتهنّ الحرب بأثقالها، كانت شـخصيتها ممتلئة بالصلابة، فقد بنت لهـا التجارب قلباً قُدَّ من حجـر، أو هو أشـبه بقلوب المحاربين الأشداء، ولكنّ حملهـا بطفلتهـا البكر «هيـا» أرهقها، كانـت تشـعر بالتعب خلال الأيـام التي قضتهـا فـي التدريب، كانـت مدركةً ما قد تعانيه النسـاء الحوامل من تعب في بداية الحمل.

وضعت منال وحيدتها ذات السـنة وقامت بتقبيلها بـكل حبٍّ ثم قالـت «كانت هيا فرحتنا الأولى بعد المعاناة التي عشناها، ولذلـك قـررت أن أسـتمر وأتعلـم حرفة تعينني في الأيام المقبلة لنتابع حياتنا».

جـلّ ما تبغيه المرأة هـذه من عملها أن ترسـم البشاشـة علـى وجـوه زبائنها، وتكسـب بعرق جبينهـا لقمةً من حلال، وتحمـد اللّه علـى مـا رزقهـا إذ كفاها الحاجة إلى غيرها.

تقاوم الحيـاة لتحيا حـرةً كريمة، تذكر تلـك المقولة فـي كل مناسـبة «حرفة تعيننـا على مصائب الدهـر خير لنا من ذلّ السؤال».

# تيم وأحلامه الضائعة

سلام زيدان

تيم مع أحد إخوته أثناء جمعهم نبات الشفلح | عدسة سلام زيدان

يومـاً بعد يوم تـزداد المعاناة التي يعيشـها الكثير من السـوريين المهجَّرين قسراً نحو إدلب، مع دخولهم في حياة جديدة تفتقر إلى أبسط المقومات، وباتوا يذوقون مرَّهـا بعـد أن حمّلتهم الحرب أكثر مما يسـتطيعون، حتـى حمل الأطفـال على كواهلهـم الضعيفة التعب ، وتجرَّعوا مرارة البحث عن أسباب العيش الكريم.

تيم ذو الاثني عشـر عاماً، طفل مهجر قسراً من مدينة حلب منذ أواخر كانون الأول سـنة 2016، ويعيش الآن مـع إخوته وجدّته في إحدى قـرى ريف إدلب الجنوبي، ضمن ظروف معيشية صعبة.

فقد تيم وإخوته الأم والأب إثر غارة جوية، وصاروا في كفالة جدتهم «الستينية»، التي فقدت هي الأخرى كل ما تملك، ونزحت بأحفادها نحو إدلب وهناً على وهن.

باتـت الجدة ترسـل حفيدها ليبيع ثمـار «القبّار» أو ما يعرف بـ «الشـفلّح»، وينال ما يسـدُّ بـه رمقه ورمق إخوته الصغار.

يعانـي تيـم كثيراً من جني هـذه الثمـار ذات الطبيعة الشـوكية، فيقصد باكراً مكان تجمع أشـجار الشـفلح فـي أعلى الجبل، حيث تسـكن الثعابين، ما قد يعرضه للخطر، فضلاً عن تعرضه لحرارة الشمس الشديدة.

«كل 1 كـغ بـ 600 ليرة سـورية»، هذا السـعر يدفع الفقـراء للمغامـرة بقطفهـا، علـى صعوبته، لكسـب مصدر رزق لا بأس به.

رحلـة النهـار الطويلة التـي يقضيها تيم بين أشـواك الشـفلح، تنتهي مع آخر النهار بثمـن بخس من النقود يعطيها لجدته التي تتدبر أمور العائلة اليوَمية.

يقول تيم «كنت أحلم كباقي الأطفال أن أتابع تعليمي وأصبح مهندساً، إلا أن حياتي تغيرت بالكامل، وأحلامي تلاشـت بعد أن فقدت والـديّ، ولم يعد لـدي رغبة إلا بمسـاعدة جدتي فـي تربية إخوتـي وتعويضهم عمّا فاتهم».

باتـت أحلام تيم طي النسـيان، ثم قسـا جلده من بعد ذلك، وتركت تلك الأشواك حكايات من الألم والمعاناة، يصعـب محوهـا حيناً مـن الدهـر أو لا يكـون، يداري أحلامـه بالتخفيف عـن إخوته وجدّته ما اسـتطاع إلى ذلك سبيلاً.

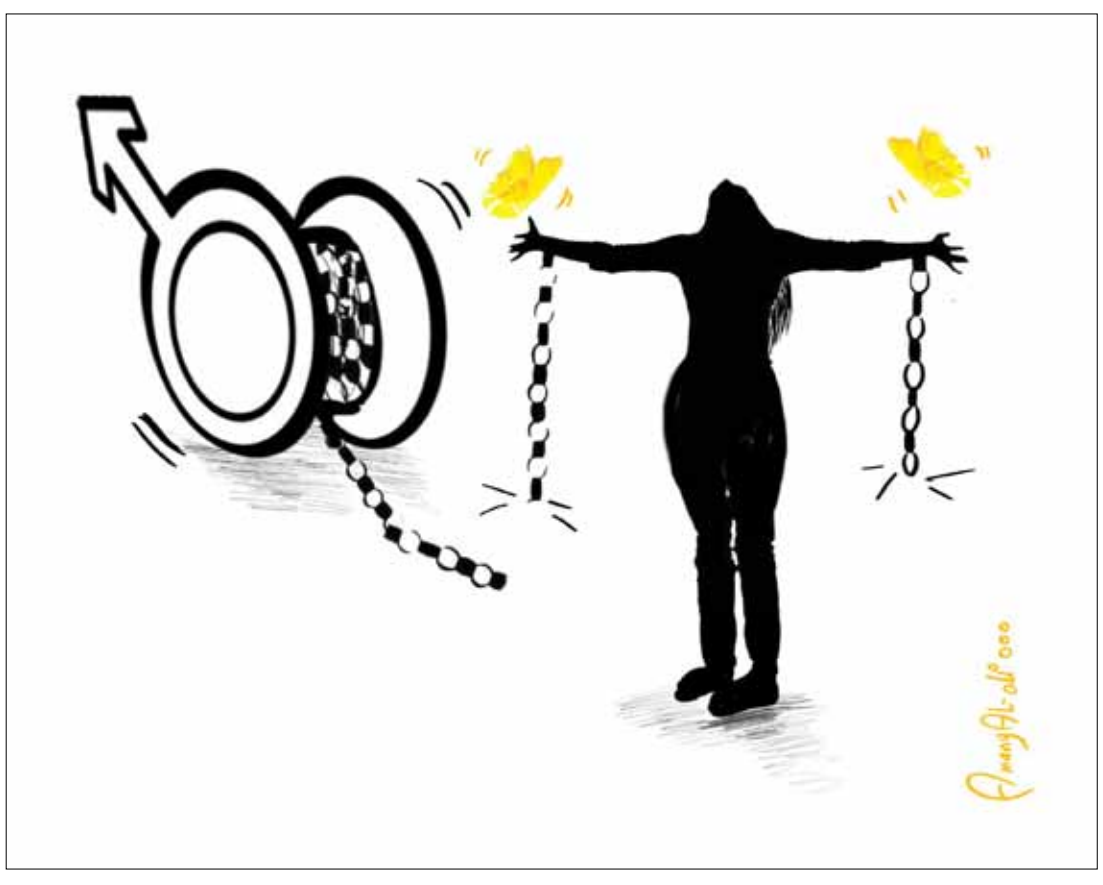

# حياة كريمة تولد من جديد

صفاء رمضان

داخل قارب صغير أو «الطرادة» كما يدعوها أهل دير الزور، تجلس رقية، ذات الـ 25 عاماً، مع أطفالها الثلاثة وزوجها المصاب بشلل نصفي وبعض الأمتعة، تغادر بلدتها الطلحة في الريف الشرقي بعد أن دُمِّر منزلها بقصفٍ للتحالف.
عبروا نهر الفرات وصولاً إلى الضفة الجنوبية، ليستقروا في منزل في مدينة دير الزور الواقعة تحت سيطرة قوات النظام، هرباً من القصف الذي تطال نيرانه المناطق الأخرى، لكن مصيدة «تنظيم الدولة» كانت بانتظارهم، فقد طوّقت عناصر التنظيم المنطقة كفكّي كمّاشة مانعة دخول المواد الغذائية بكل أنواعها إليها.

## حصار وجوع

على مدار عام كامل عانت رقية مشقَّة البحث عن طعام لأطفالها الجياع وزوجها المريض، لجأت لبيع كل ما تملك مقابل كيلو من الأرز أو كيس من الطحين.
تقول رقية «نفد الخبز من السوق، وكان من الصعب تأمين الطحين باستمرار، أمّا السكر فكان الحصول عليه حلماً بعيد المنال».
كانت تعمد لطحن البرغل برحى حجرية لتصنع منه خبزاً، تطعم أطفالها، تقول: «كنت أنتقي بعض حشائش الأرض فأتقاسمها مع زوجي لنترك الخبز والبرغل لصغارنا»، تجهش رقية ببكاء مكتوم وتضيف «أكثر ما كان يعصر قلبي عندما أرى أطفالي عاجزين عن البكاء، بعد أن خارت قواهم من شدّة الجوع».
زوجها المصاب يزداد وضعه سوءاً بسبب قلّة الدواء والطعام، ألم ظهره وتقرُّحات جلده كانت كفيلة أن تحيله إلى هيكلٍ عظميٍّ بجسدٍ بال منهك القوى.

## رحلة الخلاص

مطلع عام 2015 فُكَّ الحصار حول المدينة ليوم واحد، تدافعت آلاف البشر للرحيل، استطاعت رقيَّة أن تلملم حاجاتها وتخرج من دير الزور حاملة زوجها على ظهرها بعد أن تقلص وزنه كثيراً، سارت وأطفالها إلى أن وصلوا إلى الحافلة المتوجِّهة إلى مدينة إدلب، بدأت الرحلة مع المغيب، لم يكن الطريق سهلاً إذ تعرّضوا لقصف مروحي من رشاش حربي، ما دفع السائق إلى متابعة المسير دون إضاءة.
مع طلوع الفجر وصلوا المدينة، تقول رقية «شعرت بالفرح الشديد لخلاصي من كابوس الحصار، قلت في نفسي حينها، لابدّ أن اللّه سيعوِّض صبري خيراً»، قامت هيئة الإغاثة بتوزيع الأسر على مراكز الإيواء وأولتهم عناية واهتماماً بالغين، وخضع زوجها لفحصٍ طبي ورعاية خاصة.
تعافت أحوالهم قليلاً، لم تكن رقية جليسة في المركز، فلجأت إلى إحدى المنظمات لتأمين مشروع صغيرٍ لها يدرُّ عليها ربحاً يسد الحاجة، قبل طلبها وقدِم لها 400 دولار لتبدأ مشروعها في بيع ألبسة الأطفال، إذ كانت رقية تشتري الملابس من محال الجملة، وتحملها في كيس كبير تقصد فيه بيوت الناس أو المحال التجارية، وتعرضها عليهم مقابل ربح زهيد.
حاولت تطوير عملها، فاشترت آلة للخياطة وبعض القماش لتخيط الملابس أيضاً، ومع تحسن أوضاعها المادية استطاعت أن تستأجر منزلاً تحافظ فيه على خصوصية أسرتها وتخرج من مركز الإيواء المزدحم.
استعاد زوجها عافيته شيئاً فشيئاً، فـ«كلما اشتد الكرب كنت أعلم أن اللّه لن يتركني»، كما عبَّرت رقية عن إيمانها بأن مع العسر يسراً.
رزقت رقيّة بطفلةٍ سمّتها «أمل» تذكّرها دوماً أن هناك حياة مشرقة تُخلق في رحم الأيام الصعبة.

نازحون من ريف دير الزور الشرقي في تشرين الأول 2017 | ALETIHADPRESS

# «رائحة الكيماوي» كابوس كلما أغمضت قمر عينيها

غيثاء الإبراهيم

لم تصدق إلى اليوم أنها ما زالت على قيد الحياة، بعد أن خرجوا من تحت أنقاض البرميل الذي تحدث عن سمومه العالم أجمع.
قمر سيدة في عقدها الثاني، متزوجة ولديها ابنتان، تقطن مع زوجها في مدينة حمورية في الغوطة الشرقية، غادرت منزلها مع قوافل التهجير القسري نحو الشمال السوري في آذار الماضي.

## ما قبل الكيماوي وما بعده

محاضرات عدَّة في التوعية حول الإسعافات الأولية المتخذة في حال الهجوم الكيماوي وأعراضه وإسعافاته تلقتها نساء الغوطة، أسئلة كثيرة كانت تتردَّد بينهن بعد المحاضرة، هل حقاً سيضربهم النظام بالسلاح الكيماوي؟ ما واجبهم تجاه أسَرِهم في حال تعرضهم للغازات؟
تصف قمر المشهد حينها «كان القبو عبارة عن ملجأ تحت الأرض، تجربة مريرة عشناها، حمامات مشتركة وعدد كبير من الأطفال، ولا يوجد طعام كافٍ لكل الموجودين، وإن وجد كنا نُؤثِر أطفالنا به، كانت النسوة يقضين معظم أوقاتهن في الدعاء».
حياة رتيبة عاشتها قمر وعائلتها خلال الأسابيع التالية، تخرج صباحاً مع زوجها وابنتيها ليوصلهم إلى الملجأ القريب، ويستمر في طريقه إلى عمله كمسعف ميداني، بينما تقضي هي يومها في الملجأ الآمن تحت الأرض، وقد تعود مساء مع زوجها إن أنهى مهامّه وكان الوضع آمناً، لكنها كثيراً ما كانت تمكث في الملجأ بضعة أيام بسبب اشتداد القصف الجوي على المنطقة.

## برميل فوق البناء

بعد حلول الظلام بساعات، نزل أحد الرجال إلى الملجأ حيث النساء والأطفال، وطلب منهم أن يضعوا ماء ومحارم قطنية بالقرب منهم لأخذ الحيطة والحذر، تقول قمر «التقت عيناي بعيني أختي وقد امتلأنا خوفاً وتمتمنا ببعض الأدعية، وجمعت كلّ منا أطفالها حولها».
أخذت قمر مكانها تحت أحد أعمدة الملجأ، وغابت عن عينها أختها بين أكوام الناس بينما لمحت ابنتها الصغيرة تركض بعيداً عن أمها، أمسكت خالتها بيدها بشدة ووضعتها مع ابنتيها.
بدأ الخوف وقتئذٍ يتسرب للجميع، وبدقائق قليلة، وما إن نزل أحدهم يحذرهم من طيران في الأجواء وأن القصف بات قاب قوسين أو أدنى، حتى اهتزت الأرض وخيَّم الظلام على الملجأ، وطمس الغبار معالم البشر، وانتشر الدخان ورائحة واخزة عمت المكان.
صمت مطبق حلّ لثوانٍ معدودة، كل منهن كانت تتحسس أنها وأبناءها على قيد الحياة، بدأت بعض النسوة بالصراخ والبكاء وهرعن للهرب لقبو آخر عبر أنفاق مجهزة لهذه الغاية، في تلك الفوضى فقدت عديد من النساء أولادهن بينما أخرج بعضهن الآخر بدون وعي أطفالاً غير أطفالهن.
تضيف قمر «كان هذا القبو الأخير الذي يمكننا اللجوء إليه، فما كان منا إلا الاستسلام وانتظار مصيرنا المجهول».

## قبل التهجير وبعده

تفاصيل صغيرة أضفت على مرارة العيش بعضاً من السعادة كما وصفت قمر، من أهمها وجود طفلتيها حولها، تسنيم ذات الخمس سنوات، وحنين بأعوامها الثلاث ملازمة لجدتها وجدها، وتقترب منهما أكثر كلما زادت حدة الطيران.
باتت هذه الذكريات بحلوها ومرها تشغل ذاكرة قمر في نومها وصحوها، لحظات السعادة التي عاشتها مع زوجها في الغوطة تسترجعها الآن بمرارة، أما لحظات القصف ورائحة الكيماوي فباتت كابوساً يوقظها من نومها.
قمر تشعر بالاختناق وتشهق شهقات مروعة راجية حفنة أوكسجين ترد لها نفسها الذي كادت الذكريات المؤلمة أن تخنقه وتحاصره فوق الحصار.

عناصر من الدفاع المدني في أحد مستشفيات الغوطة الشرقية بعد تعرضهم للغاز السام | الدفاع المدني السوري

# كبّة العافية والنَّفَس الطيّب

خديجة تعد أقراص «الكبة» في منزلها | عدسة بيان بيطار

**بيان بيطار**

قبل أن تعدَّ خديجة الفطور لأبنائها الستة، يتوجب عليها تحضير كمية كبيرة من عجينة البرغل «البلدي السوادي»، الخاص بصنع أقراص «الكبة» الحمصية المشهورة تلبية لزبائنها، متباهية بإتقان صنعها أمام صديقاتها.

دخلت خديجة عقدها الخامس، ومازالت كتلة من النشاط، فهي تستعين، حسب ما تقول، بـ «أدعية وأوراد» حفظتها عن زوجها الذي قتله النظام خلال إحدى المعارك سنة 2013، وهُجرت مع أبنائها إلى ريف إدلب في العام الذي يليه.

«بعد وصولنا إلى ريف إدلب لم يكن بمقدوري دفع أجرة منزل، وبعد بحثٍ طويل عثرت على منزل تهدم جزء منه جرّاء القصف، استطعت السكن فيه مع أطفالي دون مقابل، عسانا نستطيع التأقلم واستعادة حياتنا من جديد». كانت تتحدّث والألم يعتصر فؤادها الذي يتأوه كمداً!

تعلّمت صنع الأطباق الحمصية الشهيرة التي تتطلّب مهارة عالية، عن أمها وجدّتها، مثل (الكبة الحمصية وورق العنب والمحاشي والقشة)، وجعلت من ذلك فرصة للتغلب على الحاجة، ومهنة جديدة لها، تقتات بها وأسرتها، في ظل انعدام فرص العمل المتاحة، لا سيّما أنها لا تملك مؤهّلاً علمياً يساعدها في الحصول على عملٍ أو وظيفة في مؤسسة ما.

بدأت خديجة بإعداد أطباقها وبيعها «حفر الخضار وتجهيزها للطبخ- تجفيف الملوخية- إعداد المربيات بأنواعها» كلّ ذلك بأسعار رمزية، ونالت أطباقها شهرة واسعة في محيطها، حتى إن إحدى جاراتها أطلقت على الكبة التي تصنعها «كبّة العافية والنفس الطيب».

بابتسامة رضا تضيف خديجة «بعد أن أنهي عملي وتسليم الوجبات لأصحابها، تبدأ لديّ مرحلة التسوق وإعداد لوازم اليوم الثاني، وأحرص على ارتياد أكثر من سوق للحصول على السعر الأفضل، وخاصة أن سعر الخضروات يتفاوت خلال ساعات اليوم الواحد».

ليست هي الأرملة الوحيدة التي تسعى إلى تحدّي الأوضاع الاجتماعية السيئة في مناطق المعارضة؛ فأمثالها كثيرات فضّلن العمل المنزليّ الحرّ وتحمُّل عناء الجهد الجسدي، على أن يطلبن المساعدة من أحد أو انتظار المساعدات الإنسانية، هكذا تعتبر خديجة نفسها وتنظر إلى ذاتها!

وتضيف «على الرغم من نجاح تجربة العمل المنزلي، إلا أنّ تحدياتٍ كثيرةٌ تقف أمام السيدات اللواتي يمتهنها، مثل تكاليف شراء المواد الأولية والتجهيزات اللازمة وما شابه، فضلاً عن التسويق الذي يقف عثرة خاصة أمام المهجّرات».

لا تحرم خديجة أطفالها الصغار ما يشتهون من المأكولات، وتصنع لهم حبات من الكبة الحمصية، لكنها ليست كالحشوة المعتادة «اللحم والمكسرات»، بل تقتصر على البصل المفروم وتوابل تعطي النكهة لتوفر المصاريف.

بابتسامة باهتة تراقب الأم طفلها الصغير عروة وهو يأكل قطعة الكبة البسيطة، ثم تهزُّ رأسها المتعب، وتسأل: «ما الذي يجبر صغيري على هذا؟»، لكن ما تلبث ابتسامة الرضا أن تعود لترتسم على وجهها، وتشكر الله وتعاود عملها في صباح اليوم التالي.

# في الهجرة إلى الوطن

**نيرمين خليفة**

«تتقدّم بي الحافلة إلى الأمام، وترجع بي أفكاري إلى الوراء»، تقول رقية وهي تستقل حافلة تعود بها إلى مدينتها حلب بعد أن هُجّرت عنها سنتين بالتمام والكمال.

تذكر رقية ساعات الوقوف الطويلة على معبر الراشدين وهم ينتظرون الباصات الخضراء، حيث كان القهر يخيم على كل شيء، أعداد هائلة والجميع صامتون، إلا من نشيج خافت لبعض الأهازيج القديمة تودع حلب «يا رايحين ع حلب حبي معاكم راح يا محملين العنب تحت العنب تفاح».

تتابعت الأحداث في كانون الثاني من العام 2016، وتآكلت أحياء حلب الشرقية الواحد تلو الآخر حتى سقطت جميعها بيد النظام، كان على السكان النجاة بأرواحهم من كل منطقة يتقدم عناصر النظام نحوها، وبسبب أعداد المهجرين الكبيرة تم الاتفاق على تهجير أهل حلب نحو إدلب وريف حلب الخاضع لسيطرة المعارضة.

تقول رقية: «اجتمعت نساء عائلتنا معاً، أخذنا حافلة واحدة ونحن نأمل أن نجتمع بشباب عائلتنا على الطرف الآخر من المعبر، لكن لم يتحقق ما كنا نتمناه، حيث اعتدت قوات النظام على قافلتهم واعتقلت كلّ من كان فيها، مما ضاعف فاجعتنا بفقدهم».

تمر هذه المشاهد في مخيلة رقية وهي في طريقها إلى حلب مرّةً أخرى، تعود بها الأفكار إلى لحظة فراقها أول مرة، كانت رقية وسطى أختيها، تبلغ الثلاثين من العمر، سمراء طويلة نحيلة الجسد قوية الشخصية، تركت زوجها المؤيد للنظام وانتقلت مع ابنتها لتعيش مع والدتها وأختيها في حي الزبدية، الذي هجّروا منه نحو بلدة أريحا في ريف إدلب.

في إدلب عملت رقية مع إحدى المنظمات لتعيل أسرتها الكبيرة التي باتت مسؤولة عنها، وتعرفت على أصدقاء جدد شاركوها دموعها وضحكاتها، جنونها وهمومها، أفراحها وأحزانها، حتى باتت صحراؤها القاحلة واحة مخضرة نضرة.

كان لرقية صديقة وفية، رافقتها إلى حيث كان يقودهما الجنون ومتاعب الحياة وآهات الحرب، ضحكتا كأنهما لم تبكيا يوماً، وجزعتا كأنّهما لم تفرحا يوماً، لم تتخيل رقية أن تقلب السنتان اللتان قضتهما في إدلب ميزان الثلاثين عاماً الماضية، فإن فقدت حلب وخُذلت الثورة، يبقى بعض الحب وفياً لمشاعرها.

خلال سنتين كاملتين تنقلت رقية بين بلدة أريحا ومدينة إدلب وبلدة سراقب، بذلت جهداً لتعوّض أسرتها مرارة التهجير، ورغم صعوبة الأمر نجحت في رسم البسمة على وجوه ابنتها وأمها وأختيها، لم تفكر يوماً أنها ستعود إلى حلب بدونهم، تردّدت في اتخاذ قرارها ولكن الواقع يفرض ما لا تريده، متطلبات الحياة كثيرة وابنتها الوحيدة تكبر بعيداً عن والدها.

الحافلة تقترب من مدينة حلب، تتذكر عناق صديقتها عندما ودّعتها أمس، تشعر كأنها الآن تُهجّر، حيث أصبحت إدلب وأهلها ملاذاً لها ومخبأً لأسرارها.

«أودع إدلب ومن أحببت فيها بعد عامين من التهجير وأعود إلى حلب لأعيش مشاعر عكسية»، تضيف «هل أنا أهاجر من جديد أم أنها العودة للوطن؟»، تنزل من الحافلة وتطأ قدماها أرض مدينتها حلب قادمة من مدينتها الأخرى إدلب.